النهضة العربية السعودية

إن النهضة العربية السعودية أظهر النهضات الحديثة فى الشرق الإسلامى تأثراً بالعامل الدينى ، على الرغم من أنها تأثرت أيضاً بالعامل القومى كما ذكرنا ؛ وإنا نعتبر قيام الدولة السعودية فى عصورها المختلفة بعثا جديدا للدولة الإسلامية الأولى التى قامت فى عصر الرسول الكريم عليه السلام ، فكلتا الدولتين قامتا على أساس روحى هدفه تصحيح العقيدة ، وتهذيب النفوس ، والارتفاع بمستوى البيئة من جميع النواحى ، وبعث نهضة إصلاحية عامة شاملة .

وكما بعث الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ محمد بن عبد الله بين العرب وهم فى فوضى شاملة ، وانحطاط عام ، وتفكك وانحلال ليس لهم وحدة تربطهم ، ولا فكرة صالحة تجمعهم ، فنشر مبادىء الإسلام بينهم ، وجمعهم على التوحيد، فوحد بينهم فى العقيدة ، فأصبحوا يدينون بمبدأ واحد ويعبدون الله وحده ، ووحد بينهم فى المظهر ، فجعل منهم أمة واحدة ، عربية مسلمة ، قوية عزيزة الجانب ، وأقام لهم دولة على أساس من الدين الحنيف ؛ فكذلك أخذ المصلح الدينى والزعيم الإسلامى محمد بن عبد الوهاب فى منتصف القرن الثانى عشر الهجرى يدعو إلى تصحيح العقيدة ، والرجوع إلى مبادىء الإسلام الصحيحة ، واعتناقها من جديد بين النجديين وكانوا قد فسدت عقيدتهم وضلت سيرتهم ، وأخذ الزعيم السياسى النجدى محمد بن سعود يناصر ابن عبد الوهاب فى دعوته الدينية الإصلاحية ،

ويعمل على نشرها ، واعتناق الناس لها ، فقامت على هـذا الأساس الدولة السعودية ، وكان قيامها بدءا لنهضة إصلاحية ابتدأت فى قلب الجزيرة العربية ، ثم لم تلبث أن عمتها فى سنوات يسيرة . فالدولة السعودية فى عصورها الثلاثة وما صاحبها من نهضة إصلاحية ثمرة من ثمرات الدعوة بالمبادىء الدينية الإسلامية التى دعا بها محمد بن عبد الوهاب .

فمن هو إذاً هذا الداعية المصلح ، وما هى تلك المبادىء التى دعا بها ؟ هذا ماسنبينه فى الفصول الآتية ، مقدمة للحديث عن النهضة العربية السعودية .

محمد بن عبد الوهاب

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على بن محمد بن أحمـد بن راشد التميمى النجدى هو صاحب الدعوة الدينية الاصلاحية المعروفة بالمذهب الوهابى ؛ ولقد ولد سنة ١١١٥ هـ / سنة ١٧٠٣ م [1] ببلدة العيينة الواقعة قريباً من الرياض عاصمة نجد الحالية ، وجهة الشمال منها . وكان هذا البيت رفيع المنزلة معروفا

---

(١) هكذا ورد تاريخ ميلاد الشيخ فى كتاب « تاريخ نجد » للألوسى ص ١١١ هامش من الطبعة الثانية ، وفى كتاب « جزيرة العرب » للشيخ وهبة ص ٣٣٥ وكتاب « تاريخ نجد الحديث لأمين الريحانى » ص ٢١ . وإنا نرجح هذه الرواية على مارواه عمر أبو النصر فى كتاب « سيد الجزيرة ابن سعود » ص ١٦ من أنه ولد عام ١٦٩٦ م ، وعلى ما ورد فى « حاضر العالم الإسلامى » ج ٤ ص ١٦١ من أنه ولد سنة ١١١٦ هـ / ١٧٠٤ م .

نسب محمد بن عبد الوهاب[1]

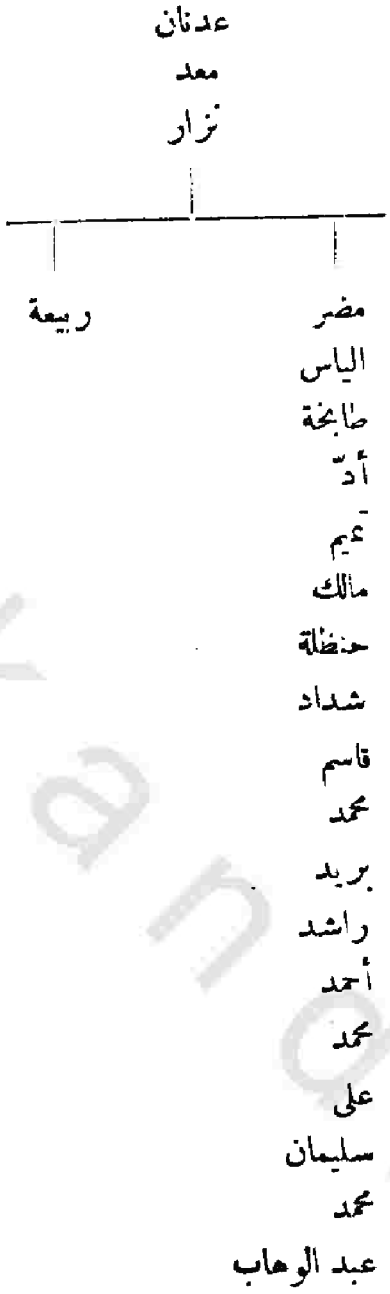

محمد بن عبد الوهاب

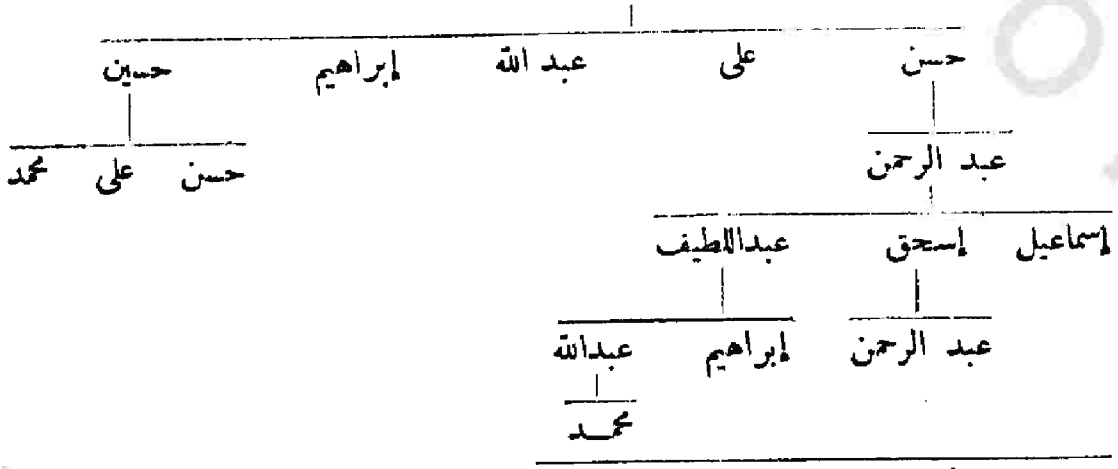

(١) عن أمين الريحانى فى كتابه «تاريخ نجد الحديث وملحقاته» ص ٢٣ من الطبعة الأولى

obeikandl.com

بالعلم ، فقد كان جده سليمان من علماء نجد المبرزين [١] وكان والده عبد الوهاب فقيهاً حنبلياً ، وقاضياً لبلدة العيينة ثم لبلدة حريملة .

نشأته ورحلاته

نشأ محمد بن عبد الوهاب فى حجر أبيه،ودرس عليه فقه ابن حنبل ومبادئ العلوم الشرعية والعربية ، وكان يقرأ بشغف وتلهف كل ما يقع تحت يده من كتب التفسير والحديث والعقائد ، وخاصة كتب الشيخ ابن تيمية وكتب تلميذه ابن القيم ، ولقد حببت إليه رحلات الدرس وهو صغير ، فذهب إلى مكة حاجاً ثم إلى المدينة وبقى فيها مدة يسمع العلم عن أشياخها [٢] ، ثم تابع رحلاته العلمية فسافر إلى الاحساء والبصرة وبغداد ودمشق [٣] يمكث فى كل منها

---

(١) يقول صاحب « تاريخ نجد » : كان الشيخ سليمان أعلم علماء نجد فى عصره وكانت له اليد الطولى فى العلم ، وانتهت إليه رياسة العلم فى نجد .

(٢) كان فى مقدمة أشياخ محمد بن عبد الوهاب وأساتذته الذين تأثر بهم إلى حد بعيد الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف أحد العلماء النجديين ، ولكنه كان بالمدينة وقت ذهاب ابن عبد الوهاب إليها ، فأحسن لقاءه وشجعه فى طريق الدعوة الدينية وإنكار البدع الشائعة ، ثم قدمه إلى الشيخ محمد بن حياة السندى المدنى من أعلام علماء المدينة إذ ذاك فصحبه ابن عبد الوهاب وأخذ عنه ، راجع كتاب « عنوان المجد فى تاريخ نجد » لعثمان بن عبد الله بن بشر الحنبلى ، ج ١ ، ص ١١ .

(٣) يروى الشيخ وهبه فى « جزيرة العرب » ص ٣٣٦ عن « لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب » أن الشيخ رحل أيضا إلى فارس وتعلم بها الحكمة المشرقية ، كما تعلم فى رحلته فنون الحرب وصنع الذخيرة . ويروى الأستاذ فريد وجدى فى دائرة المعارف أنه سافر إلى الأستانة ، ولكن بعض العلماء ينكر هذا .

يسمع لعلمائها ويدارسهم العلم .

وكان كلما ذهب إلى مكان أنكر ما يراه من البدع والخرافات شائعا بين الناس وحمل على المنكرات بشدة .ولقد لاقى فى سبيل ذلك كثيراً من الصعاب ، وتعرض لكثير من المخاطر ، وكانت خاتمة مطافه أن عاد ثانية إلى نجد بعد أن انتفع بهذه الرحلات وبعد أن شاهد حال العالم الإسلامى فى البلاد التى طاف بها ، ورأى ما عليه المسلمون من تأخر وفساد عقيدة ، فعاد إلى نجد وقد صمم على الجهر بالدعوة الإصلاحية الدينية التى كون لنفسه مبادئها بعد التجارب ورحلات الدرس ، والتى ألقيت فى روعه يوم أن ابتدا يدرس كتب ابن تيمية فى العيينة وهو لايزال فتى حدثا ، ويوم أن شرع يقرأ بتلهف وشوق إنتاج هذه المدرسة الإصلاحية التى تزعمها ابن تيمية وتلميذه ابن القيم .

ونستطيع بعد ذلك أن نقول : إن العوامل التى أثرت فى حياة محمد بن عبد الوهاب ، وكونته هذا التكوين فجعلت منه داعية مصلحا هى عوامل: البيت ، والمدرسة : والبيئة ؛ فلقد رأينا كيف نشأ فى بيت العلم بين أبيه الذى كان فقيها حنبليا وقاضيا ، وجده الذى كان شيخ العلماء فى نجد ، ومن ينشأ فى مثل هذا البيت لا شك أنه يتأثر به ويكون اتجاهه فى الغالب اتجاها علميا ؛ ثم رأينا كيف أنه ابتدأ يدرس كتب شيخ الإسلام ابن تيمية من صغره ، وكيف أنه كان شغوفا بدراستها ، فهو من الذين تأثروا بمدرسة ابن تيمية وتخرجوا فيها على الرغم من طول العهد بينهما ، وأن آراء ابن تيمية وابن القيم كان لها أكبر

الأثر فى توجيه ابن عبد الوهاب والتأثير على حياته ؛ كذلك الرحلات التى قام بها كانت مدرسة نافعة له ، فقد وسعت من أفقه ونبهته إلى الأخطاء الشائعة فى العالم الإسلامى ، وجعلته يصمم على القيام بدعوته الإصلاحية فوق ما استفاده فيها من الدراسات العلمية والتلقى عن مشاهير العلماء فى مختلف العواصم الإسلامية .

أما عامل البيئة فهذا أيضاً كان له خطره فى حياة ابن عبد الوهاب ولكنه فى تأثيره عليه يختلف عن العوامل السابقة التى نعتبرها عوامل إيجابية بالنسبة لابن عبدالوهاب ، إذ أن أثرها عليه كان إيجابيا ، أما البيئة التى نشأ فيها والتى كانت سائدة فى سائر البلاد الإسلامية وفى نجد على الخصوص ، فقد كانت بيئة الخرافة والبدعة التى امتزجت بالنفس وأصبحت جزءاً من العقيدة الدينية ، وهى ليست من الدين فى شىء ؛ هذه البيئة أثرت فى حياة ابن عبد الوهاب وفى توجهه ، ولكن أثرها فيه كان أثرا سلبيا ، إذ بدل أن يتأثر بها إيجابيا ويصبح مثل الآخرين فى أن تختلط الخرافة والبدعة بعقيدته الدينية وتصبح جزءاً منها تأثر بها سلبيا ، فصمم على محاربة الخرافة والبدعة ، وعلى العمل لنشر مبادىء الإسلام السليمة وسيادتها .

ولا يفوتنا أن ننبه بعد هذا إلى أن ابن عبد الوهاب كان على استعداد فطرى سليم ، سريع التنبه ، مرهف الحس ، شأن كل الزعماء المصلحين .

بدؤه بالاصلاح فى نجد

اختار محمد بن عبد الوهاب قلب الصحراء وطنه نجداً ليبدأ فيه بالدعوة

الى هذه المبادىء التى نادى بها قبله أستاذه الشيخ ابن تيمية ، ولاقى فى سبيل العمل لها كل اضطهاد وتنكيل .[١] اختار نجداً وهو يعلم أنها بعيدة إلى حد ما عن متناول عصا الدولة العثمانية ، التى كانت قائمة على رأس كل مناد بحركة إصلاحية ، ظناً من الدولة بأن كل حركة من هذا القبيل تهدد كيانها ، وتصبح خطراً عليها ؛ فواجبها إذاً أن تقضى على أمثال هذه الحركات ، وتضرب على أيدى المصلحين ؛ مع ما كان يعرف ابن عبد الوهاب من ملاءمة طبيعة هذه الدعوة بما فيها من تقشف وزهد لطباع أهل البادية وسكان الصحراء ، فهو يطمع فى نصرتهم ومؤازرتهم بما لم ينتظره من الحضر وسكان العواصم الإسلامية الذين استمرؤوا ماهم فيه ، وخذلوا أستاذه ابن تيمية من قبله [٢] ، إذاً إلى الصحراء ، إلى نجد ، إلى الوطن الأول .

عاد محمد بن عبد الوهاب إلى حريملة من بلاد نجد ، حيث انتقل والده الشيخ عبد الوهاب الذى تولى القضاء هنا أيضاً كما كان فى العيينة ، وابتدأ دعوته عقب العودة منادياً بمحاربة البدع ، ونبذ الخرافات ، والتخلص مما لصق بتعاليم الإسلام وليس منها ؛ ومبينا لمبادئه الإصلاحية التى سنتكلم عنها

---

(١) عاش شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية أحد علماء حران فى القرن السابع وأوائل الثامن الهجرى ٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ وقد كان حجة فى العلوم الشرعية وصاحب دعوة إصلاحية نادى فيها باتباع طريق السلف ومحاربة البدع ، وفتح باب الاجتهاد وترك التقليد ؛ تنقل بين مصر والشام ، وسجن واضطهد إلى أن مات فى معتقله بقلعة دمشق سنة ٧٢٨ هـ

(٢) راجع كتاب « الشرق الإسلامى فى العصر الحديث » ص ١٩٠ .

فى الفصل التالى . أنكر على النجديين عقائدهم المشوبة بالبدع والخرافة ، ووقع بينه وبين والده الشيخ عبد الوهاب جدال ومخاصمة من جراء ذلك ، وأقام على هذا عدة سنين حتى توفى والده عام ١١٥٣ هـ [١] .

استمرار الخصومة بينه وبين الشعب النجدى

بعد ذلك أخذ صاحب تلك الدعوة الجديدة يشتد فى نكيره على النجديين ومن حوله بعض الأنصار الذين آمنوا بصحة مايدعو إليه ، كما أخذ خصومه يلحون فى الكيد له ، حتى اضطر إلى مغادرة حريملة بعد أن تآمر جماعة من عبيدها على قتله ؛ وبعد نجاته من هذه المؤامرة بحفظ من الله ، ترك حريملة باحثاً عن النصير الذى يشد أزره ويحميه حتى ينشر دعوته الإصلاحية فى أنحاء نجد ، وهو يعلم أن كل نظرية إصلاحية لاتنتصر بقوتها وصدقها فقط ، بل لابد لها أيضاً من سلطان يحميها حتى تثمر وتؤتى أكلها ، فإن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن . ذهب بعد ذلك إلى مولده العيينة واستطاع فى المبدأ أن يقنع أميرها إذ ذاك عثمان بن حمد بن مُعمر بصدق دعوته ، وأن يكسب مؤازرته ؛ ولكن ابن معمر لم يلبث أن رأى نفسه مكرها على طرد محمد بن عبد الوهاب من بلده ، بعد أن أغضب هذا الثائر أهل تلك الناحية من نجد باشتداده فى النكير عليهم ، وبقطعه الأشجار التى كان يحج إليها الناس ويتبركون بها ، وبهدمه القبة القائمة على قبر زيد بن الخطاب ببلدة الجبيلة ؛ فضج الناس لهذا وطلب أمراء هذه الجهة وزعماؤها على لسان سليمان بن محمد

---

(١) راجع كتاب « عنوان المجد فى تاريخ نجد » ج ١ ، ص ١٢ .

ابن عزيز الحميدى رئيس بنى خالد وصاحب الاحساء والقطيف من ابن معمر قتل محمد بن عبد الوهاب ، فكتب سليمان إلى ابن معمر يقول :

إن المُطَوَّع الذى عندك قد فعل ما فعل وقال ما قال ، فإذا وصلك كتابى فاقتله ، فإن لم تقتله قطعنا خراجك الذى عندنا فى الاحساء (١) . فلم ير أمير العيينة بدًّا من التخلص من هذا الداعية الثائر الذى ألب عليه الناس من حوله .

اتصاله بآل سعود

ذهب محمد بن عبد الوهاب بعد هذا إلى الدرعية ونزل فى بيت رجل من أهلها (٢) ثم عمل على الاتصال (٣) بأميرها محمد بن سعود ، فقابل الأمير وأقنعه بصحة مايدعو إليه ، وبصدقه فى دعوته ، وأنه إنما يدعو إلى تعاليم الإسلام الصحيحة ، وإلى ترك البدع ، ثم إلى أن يلتزم الأمراء حدود الشرع فى أحكامهم

فتعهد له الأمير بحمايته ومؤازرته فى نشر المبادىء الدينية الإصلاحية التى يدعو إليها وكان محمد بن سعود رجلا سليم الفطرة بعيد النظر ، فإنه عند

---

(١) هذه هى رواية صاحب « تاريخ نجد » ص ١١٤ ، وتؤيدها رواية ابن بشر فى « عنوان المجد فى تاريخ نجد » ج ١ ص ١٤ ؛ والشيخ وهبه يروى فى كتابه « جزيرة العرب فى القرن العشرين » ص ٣٣٧ ، أن صاحب الاحساء هدد بغزو العيينة ان لم يخرج منها ابن عبد الوهاب .

(٢) هو عبد الله بن سويلم العريني ، راجع « عنوان المجد فى تاريخ نجد » ج ١ ، ص ١٦ ، و « تاريخ نجد » ص ١١٥

(٣) يرجع الفضل فى التمهيد للاتصال بين ابن عبد الوهاب ومحمد بن سعود إلى ثنيان ومشارى أبناء سعود ثم إلى زوج محمد بن سعود التى كانت عاقلة بعيدة النظر ، راجع « عنوان المجد » ج ١ ص ١٥ ؛ « تاريخ نجد » ص ١١٥ .

التقائه بابن عبد الوهاب ، وعند ما عرض عليه هذا دعوته ، وبين له أنها دعوة الإسلام الصحيح ، وطلب منه أن يعتنقها ، وأن يؤازره ويساعده فى نشرها حتى تسود ، وحتى يحكم الزعماء العرب شعبهم على كتاب الله وسنة رسوله ، وحتى يقلع هذا الشعب عن الاعتقاد بالخرافة والبدعة ، ويرجع إلى المبادئ الإسلامية الصحيحة ، عند هذا رأينا محمد بن سعود يقتنع بهذه الدعوة فى سهولة ويسر ؛ ثم رأيناه يخطر له فى هذه اللحظة الفاصلة خاطر هام ، ويقدر أن هذه الدعوة الإصلاحية الدينية سوف تسود وسوف تفتح البلاد باسمها بمثل ماحدث فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ وهنا فكر تفكير السياسى البعيد النظر ، واشترط على ابن عبد الوهاب أن يساكن آل سعود مدى الحياة ، ولا يفارقهم حتى بعد سيادة الدعوة وانتشارها ؛ وكان يبغى بهذا أن تكون للبيت السعودى السيادة والحكم فى كل البلاد التى ستفتح باسم الدعوة ، ولقد قبل ابن عبد الوهاب هذا الشرط ، ومن الطبيعى أن يقبله برضاء وسرور لأنه ما كان يبغى إلا أن تكون كلمة الله هى العليا ، وأن تسود مبادئ الإسلام الصحيحة ، وما كان يبغى من وراء ذلك ملكاً ولا سلطاناً ، ثم بشر الأمير بأن الله سيزيد فى ملكه بسبب نصره لهذه الدعوة والعمل لنشرها .

كان هذا أول اللقاء بين صاحب المبادئ الوهابية وبين آل سعود ، وكان ذلك سنة ١١٥٧ هـ [1] / ١٧٤٤ م .

---

(١) هكذا ورد فى « عنوان المجد فى تاريخ نجد » ج ١ ص ١٦ ، وفى « جزيرة العرب فى القرن العشرين » ص ٣٣٧ ، ولقد ذكر الألوسى فى « تاريخ نجد » ص ١١٥ أن ذلك كان سنة ١١٦٠ هـ (١٧٤٧ م) ولاندرى على ماعتمد الألوسى فى هذا مع أن أهم مصادره كتاب « عنوان المجد » السابق .

نجاحه فى نشر دعوته ووفاته

ومن هـــذا الوقت ساكن ابن عبد الوهاب آل سعود فى الدرعية ، ثم صاهرهم ، ومازال يعمل على نشر دعوته ، ومازالوا هم يمدونه بالتأييد ، ويفتحون البلاد المجاورة باسم هـذه الدعوة وفى سبيل نشرها ، حتى توفى صاحبهـا فى ذى القعدة [1] سنة ١٢٠٦ هـ / يونيه ـ يوليه سنة ١٧٩٢ م بعد أن أبلى فى سبيل الإصـلاح بلاء حسنا ، وألف عدة من الكتب والرسائل التى أصبحت أساساً للدعوة على يد خلفائه من بعـده ، مثل كتاب التوحيد ، وتفسير القرآن ، وكتاب كشف الشبهات ، وغيرها من مؤلفاته .

مات ابن عبد الوهاب بعد أن رأى مبادئه الإصلاحية تسود فى جزيرة العرب بفضل تأييد آل سعود الذين أصبحوا خلفاءه فى نشر دعوته إلى يومنا هذا ، والذين بنوا ملكهم على أساس هذه الدعوة .

---

(١) راجع « عنوان المجد فى تاريخ نجد » جـ ١ ، ص ٦٢ ـ ٦٣

المبادىء الوهابية

هذه المبادىء الإصلاحية الدينية التى دعا محمد بن عبد الوهاب إلى العمل بها ، والتى عرفت بين الناس بالمذهب الوهابى ، لم تأت فى الواقع بجديد خارج عن مبادىء الإسلام ؛ وهى فى جملتها راجعة إلى تعاليم الدين الحنيف المعروفة ، تعود إليه فى أصولها وفروعها .

المذهب الوهابى فى الأصول

أما هذ المذهب من حيث العقيدة فهو دعوة سنية سلفية ، إذ هو راجع إلى مذهب أهل السنة والجماعة ، وهو ينهج نهج السلف الصالح فيما يتعلق بآيات الصفات وأحاديثها (التى تثبت لله جل شأنه صفة من الصفات) ؛ فالوهابيون يقرونها على ظاهرها ، ويكلون علمها إلى الله مع اعتقاد حقائقها ، وعدم الخوض فى كنهها ، كما كان يفعل السلف الصالح .

وإليك مايقوله فى هذا الموضوع أحد علماء الوهابيين ، وابن صاحب الدعوة ، الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، وقد سئل عن مذهبهم من علماء مكة وقت أن دخلها مع الأمير سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود سنة ١٢١٨ هـ ، قال الشيخ : ومذهبنا فى الأصول مذهب أهل السنة والجماعة ، وطريقتنا طريقة السلف ، التى هى الأسلم والأعلم والأحكم . . . . وهى أننا نقر آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها ، ونكل علمها إلى الله مع اعتقاد حقائقها ؛ فإن مالكا ،

وهو من أجل علماء السلف ، لماسئل عن الاستواء فى قوله تعالى « الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ » قال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة (١) .

وتكاد تكون تعاليم ابن عبد الوهاب فى هذه الناحية مطابقة تمام المطابقة لما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه فى كتبهم ، خصوصا فى فهم معنى التوحيد لله ، وفى التصريح بأن الإخلاص فى عبادته تعالى يقتضى عدم إقرار القول بالوسيلة ؛ ولاغرابة فى أن يتأثر الإمام محمد بن عبدالوهاب بشيخ الإسلام ابن تيمية ، فلقد قرأ كتب ابن تيمية وكتب تلاميذه ، وتأثر بها ، وتتلمذ عليها كما قدمنا .

المذهب الوهابى فى الفروع

أما من حيث التطبيق العملى فى الفروع من العبادات والمعاملات فالمذهب الوهابى فى جملته هومذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وإن كان الوهابيون ينفردون عن بقية الحنابلة فى أمرين :

الأمر الأول أنهم ينكرون على من قلد أحداً غير الأئمة الأربعة « مالك » و « أبى حنيفة » و « الشافعى » و « ابن حنبل » فى مذاهبهم لعدم ضبط المذاهب الأخرى فيما يرون ، مثل مذهب الشيعة وغير

---

(١) راجع « الهدية السنية » ص ٤٤ ، طبعة المنار سنة ١٣٤٢ هـ ؛ و « الوهابيون فى الحجاز » ص ١٥١ طبعة المنار سنة ١٣٤٤ هـ ؛ و « تاريخ نجد » ص ٤٨ ، طبعة المطبعة السلفية سنة ١٣٤٧ هـ .

وأما الأمر الثانى فهو أن الوهابيين فى بعض المسائل الفرعية إذا صح لهم فيها رأى مؤيد بنص جلى من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه ، وقال به أحد الأئمة الثلاثة غير ابن حنبل ، إذا صح لهم مثل هذا الرأى أخذوا به وتركوا مذهب ابن حنبل فى هذه المسألة بخصوصها كما فى مسألة إرث الجد والإخوة ، وأى الفريقين يقدم على الآخر فى الإرث ، فإنهم فى ذلك يخالفون رأى ابن حنبل ويتبعون رأى الأئمة الثلاثة الآخرين ، فيقدمون الجد بالإرث لأن هذا هو الذى صح عندهم وترجح (١) .

وهذا الأمر الأخير مبنى على بعض الأصول التى قررها محمد بن عبد الوهاب وهى : لا معصوم من الخطأ غير الأنبياء ، فليس هنالك من يحرم الإسلام مخالفته سوى نبى الله عليه الصلاة والسلام ؛ ولا يجوز للمسلم أن يدع حكم الله وحكم رسوله إذا ما بان له واتضح لقول إنسان ما ؛ وللمسلم أن يتفهم كتاب الله ويتدبره ؛ كما أنه لا حجر على العقول ، وإن التفكير فى حدود الإسلام ، ودائرة القرآن والسنة مباح ، بل لازم مفروض (٢) .

وعلماء الوهابيين بهذا لا يدعون لأنفسهم ، ولا لإمامهم درجة الاجتهاد المطلق ؛ فهم إنما يتبعون طريقة بعض أئمة المذاهب الذين سبقوهم بالاختيار والترجيح فى بعض المسائل مخالفين للمذهب الذى التزموا فيه تقليد صاحبه ، مثل الشيخ ابن تيمية وتلميذه ابن القيم .

---

(١) راجع « تاريخ نجد » ص ٤٨ ؛ و « الهدية السنية » ص ٤٤ .

(٢) راجع « الثورة الوهابية » ص ١٤ ، طبعة المطبعة الرحمانية سنة ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٦ م .

فالوهابيون إذاً من خيرة المسلمين المتمسكين بمبادىء الإسلام والعاملين على نشره وسيادته على الرغم مما أشاعه الخصوم السياسيون عنهم فى بعض العصور ، وعلى الرغم من تطرف أتباع الإمام ابن عبد الوهاب أحياناً فى إنكار ماينكرونه ، وفى الشدة على المخالفين ومرتكبي البدع ؛ فمن الطبيعى أن تكون كل دعوة إصلاحية حازمة فى إنكار المنكر والقضاء على الفساد ، خصوصاً فى مبدئها وفى أول ظهورها ، ومن الطبيعى أيضاً أن يصحب ذلك تطرف بعض الأتباع .

ما أشيع عن المذهب ، وجواب الوهابيين عنه

هذا هو المذهب الوهابى فى أصوله وفروعه ، وهو كما أثبتنا غير ما أشيع عن الوهابيين مشوهاً لمبادئهم لأسباب سنذكرها ، ولكى نعطى فكرة تامة صحيحة عن الموضوع من جميع جهاته ، فإنا نثبت هنا هذه الإشاعات وجواب الوهابيين عنها ، كما صورها ورد عليها الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب مع بعض التصرف ، قال [1] : وأما ما يكذب علينا ستراً للحق ، وتلبيساً على الخلق ، بأنا نفسر القرآن برأينا ، ونأخذ من الحديث ما وافق أهواءنا ، من دون مراجعة شرح ، ولا تعويل على شيخ ، وأنا نضع من رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقولنا : النبي رمة فى قبره ، وعصا أحدنا أنفع لنا منه ، وليس له شفاعة ، وأن زيارته غير مندوبة ، وأنه كان لا يعرف معنى (لا إله إلا الله) حتى نزل عليه : فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ ـ مع كون الآية مدنية ـ ؛ وأنا لا نعتمد على أقوال العلماء ، فنتلف مؤلفات أهل المذاهب لكون فيها الحق والباطل ؛ وأنا نكفر

---

(١) راجع « الهدية السنية » ص ٤٦ وما بعدها ، و « الوهابيون فى الحجاز » ص ١١ ـ ١٣

الناس على الإطلاق ، أهل زماننا ، ومن بعد الستمائة إلا من هو على ما نحن عليه ـ ومن فروع ذلك أننا لانقبل بيعة أحد إلا بعد التقرير عليه بأنه كان مشركا ، وأن أبويه ماتا على الشرك ـ ؛ وأنا ننهى عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقا ؛ وأن من دان بما نحن عليه سقطت عنه جميع التبعات حتى الديون ؛ وأنا لا نرى حق أهل البيت رضوان الله عليهم . . .

فجوابنا عن جميع هذه الخرافات قولنا:سبحانك هذا بهتان عظيم ! فمن روى عنا شيئا من ذلك ، أو نسبه إلينا فقد كذب علينا وافترى ؛ ومن شاهد حالنا ، وحضر مجالسنا ، وتحقق ماعندنا ، علم قطعياً أن جميع ذلك وضعه علينا وافتراه أعداء الدين ، وإخوان الشياطين ، تنفيراً للناس عن الإذعان بإخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة ، وترك أنواع الشرك الذى نص الله عليه بأنه لا يغفره ويغفر مادون ذلك لمن يشاء . . .

والذى نعتقده أن رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعلى مراتب المخلوقين على الإطلاق ، وأنه حى فى قبره حياة برزخية أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها فى التنزيل ، إذ هو أفضل منهم بلا ريب ، وأنه يسمع سلام المسلم عليه ، وتسن زيارته إلا أنه لا يشد الرحل إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه ، وإذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس . ومن أنفق نفيس أوقاته بالاشتغال بالصلاة عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ الواردة عنه فقد فاز بسعادة الدارين وكُفِيَ همه وغمه

كما جاء فى الحديث عنه ؛ ولا ننكر كرامات الأولياء ، ونعترف لهم بالحق ، وأنهم على هدى من ربهم ، متى ساروا على الطريقة الشرعية ، والقوانين المرعية ، إلا أنهم لا يستحقون شيئا من أنواع العبادات لا فى الحياة ولا بعد الممات (١) .

الأسباب التى دعت إلى التشنيع بالوهابيين

ونحن إذا أردنا أن نبحث عن الأسباب التى دعت إلى التشنيع بالوهابيين وإظهارهم بمظهر المخالف لتعاليم الإسلام ، فإنا نستطيع أن نرجعها إلى ثلاثة عوامل .

أولا :

عامل ذاتى يرجع إلى نفس المبادئ الوهابية ، وإلى تطرف الوهابيين فى فهم التوحيد الذى دعا إليه الإسلام ، وفى محاربة البدع المنهى عنها ، فهم مثلا يرون أن الاستغاثة والتوسل بالرسول عليه السلام ، أو بولى من أولياء الله تتنافى مع التوحيد الواجب لله(٢) ، ويقولون : إن من قال : يارسول الله !

---

(١) نقل ابن بشر الحنبلى عن محمد بن عبد الوهاب نفسه فى هذا المعنى رسالة مفصلة كان قد بعث بها إلى علماء القصيم يبين فيها عقيدته ويرد بها على كتاب ابن سحيم « الذى افترى فيه على الشيخ رحمه الله ولفق فيه الأباطيل » فراجع كتاب ابن بشر « عنوان المجد فى تاريخ نجد » جـ ١ ، ٦٧ — ٧١ .

(٢) يقول محمد بن عبد الوهاب فى رسالة له : « إن أول من أدخل الشرك فى هذه =

طالباً بذلك دفع شر أو جلب خير مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فهو مشرك ، يهدر دمه ويستباح ماله ؛ وإن التوسل بغير الله عبادة لذلك الغير ، وإن لم يعتقد الفاعل ذلك ؛ ويقولون : إن المشرك مشرك سواء سمى شركه شركا أو توسلا ، وإن القول لا عبرة به ما لم يؤيده العمل، فمن قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله، وهو يدعو الموتى ، ويستغيث بهم ، ويسألهم قضاء الحاجات ، وتفريج الكرب ، فهو كافر مشرك حلال الدم والمال ، ولا عبرة بقوله ؛ وهم يردون بذلك على من عارضهم بحديث « من قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فقد عصم ماله ودمه . . . » [1] وقد عرف عنهم أنهم ينكرون على البوصيرى قوله فى البردة :

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به * سواك عند حلول الحادث العمم

وقوله :

إن لم تكن فى معادى آخذا بيدى * فضلا وإلا فقل يا زلة القدم

وقوله :

* ومن علومك علم اللوح والقلم *

ويقول الشيخ وهبة فى هذا : « فإن هذا القول مجازفة وغلو ، وفيه مخالفة

= الأمة هم الرافضة الذين يدعون عليا وغيره ويطلبون منهم قضاء الحاجات وتفريج الكرب » المرجع السابق ج ١ ، ص ٦٥ .

(١) راجع « جزيرة العرب » ص ٣٣٩ — ٣٤١ .

صريحة لنصوص القرآن والأحاديث الصحيحة ، (والوهابيون) فوق هذا يعتقدون أن من اعتقد هذا على ظاهره فهو مشرك كافر » .

كما أنهم يقولون إنا نعتقد بالشفاعة ونقرها لمن ثبتت له على الوجه الذى لا يتنافى مع التوحيد مثل أن تقول : اللهم شفع فينا نبينا محمداً يو القيامة . وأما ما يجرى على ألسنة الناس مثل قولهم : يا رسول الله أسألك الشفاعة ! فيعتبرونه من الشرك .

ويرون أيضا أن تجصيص القبور والبناء والكتابة عليها من الأمور المبتدعة المنهى عنها الواجب إزالتها ،ويستدلون لذلك بما ورد من أحاديث،ولهذا فقد هدموا فى مكة والمدينة القبور المرتفعة وسووها ، وأزالوا القباب عند استيلائهم على مكة والمدينة فى القرن الماضى ، وفى الأيام الأخيرة فى سنتى ١٣٤٣ و ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥ و ١٩٢٦ م [١] .

كما أنهم يرون « إعلان الحرب » على البدع الشائعة فى الأمصار « مثل الاجتماع فى وقت مخصوص على من يقرأ قصة المولد الشريف اعتقاداً بأنه قربة » ومثل الزيادات على الأذان المشروع .

---

(١) نستطيع أن نقول : إن المذاهب الإسلامية المختلفة تكاد تكون متفقة فى الاعتراف بالأحاديث النبوية التى تنهى عن تجصيص القبور وعن البناء والكتابة عليها ، ثم عن اتخاذ المقابر مساجد أو استقبال القبور فى الصلاة ؛ ولكن الوهابيين يمتازون عن غيرهم بأنهم لا يتساهلون بشأن المخالفات التى تقع فى هذا الباب ، بل يعملون على إزالتها بكل ما أوتوا من قوة فى أى مكان يكون لهم فيه النفوذ ، وإن اصطدم ذلك مع الشعور العام وجرحه .

ولعل السر فى موقف التشدد الذى يقفه أتباع محمد بن عبد الوهاب هنا هو أنهم سلفيون لايرون التأويل فى النصوص الواردة ، بل يأخذون بظاهرها ويتمسكون بحرفيتها .

ثانياً :

عامل سياسى يرجع إلى الخلاف الذى قام بين آل سعود الوهابيين وبين الدولة العثمانية التى كانت الجزيرة العربيـة جزءاً من أملاكها وقت أن شرع الوهابيون يستقلون بالحكم فيها فى القرن الماضى ، ذلك الخلاف الذى سبب الحرب النجدية المصرية بين محمد على والوهابيين ، والذى صحبه ، وترتب عليـه كثير من الدعايات ضد الوهابيين ، خصوم الدولة السياسيين وإظهارهم بمظهر المعتدى على الدين الخارج على تعاليمه ، حتى تسهل مقاومتهم ، ويتيسر القضاء عليهم .

ولا ننسى كذلك هنا أن نشير إلى الخلاف السياسى بين آل سعود الوهابيين وبين أشراف مكة ، ثم بينهم وبين زعماء نجد المحليين ؛ فلقد ترتب على استيلاء الوهابيين على الحجاز ودخولهم مكة سنة ١٢١٨ هـ أن فقد الأشراف سلطانهم وموارد رزقهم ، وأن تشردوا فى مختلف البلاد الإسلامية ، وكان من الطبيعى بعد هذا أن يسعوا جهدهم للأخذ بالثأر من خصومهم السياسيين ، وأن يستعملوا سلاح الدعاية الفتاك ، فشنعوا على الوهابيين ، ورموهم بالخروج على تعاليم الإسلام ، وشوهوا الدعوة الوهابية وصوروها شيئاً بعيداً عن الإسلام وبدعاً جديداً فى الدين ؛ ثم لقيت هـــذه الدعاية آذانا صاغية وأرضا خصبة

خصوصاً وهى صادرة من الأشراف أبناء الرسول عليه السلام وسدنة البيت الحرام بعد أن أخرجوا من ديارهم وشردوا .

أما زعماء نجد المحليون فعند ماعجزوا عن مقاومة الوهابيين بالسيف عمدوا إلى سلاح الدعاية أيضاً لينالوا من خصومهم ، وسلكوا طريق الأشراف الذى سبقت الإشارة إليه ، مدفوعين بمثل الأسباب التى شرحناها . وفى هذا يقول الشيخ وهبه [1] : « ولقد سمعت فى نجد أن حكام نجد الشمالية أثناء خصومتهم مع آل سعود كانوا يكتبون إلى الأتراك أن آل سعود اتخذوا راية شعارها : لا إله إلا الله محدّ رسول الله (بحذف ميم محمد) أى لا أحد رسول الله ، وهذا كله تنفيرا للأتراك من خصومهم ، وهم يعلمون حق العلم أن هذا كذب » .

ثالثاً :

عامل اجتماعى يرجع إلى ما كان عليه المسلمون من تأخر ، وخاصة فى شبه الجزيرة العربية ، وقت أن شرع محمد بن عبد الوهاب وأتباعه ينادون بالمبادىء الإصلاحية ويحاربون البدع التى كانت شائعة فى نجد بغير هوادة ولا رفق ، وبما عرف عنهم من شدة وتطرف ، فى الوقت الذى كانت قد عمت فيه البدع واختلطت بالعقيدة الدينية ، وأصبحت جزءاً متمما لها فى نفوس شعب جاهل أصبح مثلا يعتقد فى بعض الأشجار والأموات أنها تضر وتنفع ، وأن تعظيمها والقصد إليها من الدين ؛ وأنت إذا أنكرت فى رفق ولين على المبتدع الجاهل

---

(١) راجع « جزيرة العرب » ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

الذى يعتقـد أنه على حتى ، وأن مايأتيه من الدين نفر منك وعاداك ؛ فما بالك إذاً إذا كان الإنـكار شديداً ، والمؤاخذة لاذعة ؟ ! لا شك أنه يثور ضدك ، ويرميك بالمروق عن الدين ، والخروج على تعاليمه ، كما نشاهد فيما يقع بين بعض الدعاة المصلحين وبين عامة الشعب فى هذا العصر الذى نعيش فيه ، على الرغم من تنبه الأذهان ، ووضوح الحق من الباطل .

تطور المذهب الوهابى

هذا هو إجمال القول فى المبادىء الوهابية وعقيدة الوهابيين ، ولـكنا نرى أن المذهب يتطور بمرور الزمن ، شأن كل المذاهب الإصلاحية دينيـة كانت أو سياسـية أو اجتماعية ، ونقصد من تطور المذهب تطور الفهم لتعاليمه الذى ينبنى عليه الاختلاف فى كيفية تنفيذها وفى صورة العمل بهـا ؛ فإنا نرى مثلا أن الملك عبد العزيز آل سـعود وهو زعيم الوهابيين وإمامهم ، يعقد معاهدة صداقة وأخوة إسـلامية مع الإمام يحيى ملك اليمن الشيعى الزيدى سنة ١٩٣٤ م بعد الحرب التى قامت بينهما ، ويعترف الإمام الوهـابى فى هـــذه المعاهدة بأن الإمام يحيى ملك اليمن وحاكمها الشرعى . وفى ذلك اعتراف ضمنى بالمذهب الزيدى ـ وهو المذهب الذى يقوم عليـه نظام الحـكم فى اليمن ـ مذهبا من مذاهب الإسلام ؛ وذلك يخالف ماسبق أن قررناه فى المذهب الوهابى من أن الوهابيين ينكرون على من قلد أحداً غير أصحاب المذاهب الأربعة .

ومن الأمثلة التى تدل على تطور الفهم لتعاليم المذهب الوهابى مسألة تدخين

التبغ ؛ فالوهابيون يحرمون التدخين ويجلدون المدخن أربعين جلدة ، وكانوا أولاً لا يسمحون لغيرهم من أفراد المسلمين الذين على غير مذهبهم بالتدخين فى حضرتهم ما دام فى استطاعتهم منعهم عن تعاطيه ؛ ولكنهم أخيراً بعد الحادثة التى جرت بين الحكومة المصرية وبين الحكومة العربية السعودية سنة ١٩٢٦ م فى عدة مسائل ومنها مسألة التدخين ، وبعد أن أفتى علماء مصر بأن التدخين مكروه وليس محرما ، بعد هـــذا رأينا الوهابيين لا يتشددون فى أمر التدخين بمثل ما كانوا يفعلون أولا ، ورأيناهم يتسامحون خصوصاً إذا كان المدخن غير نجدى . « ومما لا شك فيه أن حكومتهم الأولى كانت أصرم فى هـذا من الحكومة الحالية » (١) .

وهـذا التطور الذى طرأ على المذهب الوهابى نعتبره نتيجة لتغير الأحوال باتساع ملك الوهابيين ، واتصالهم بغيرهم من الممالك ، بعد أن كانوا قابعين فى قلب الصحراء يعيشون وحدهم منعزلين عن العالم تقريبا ، ونعده أمرا مترتبا على اشتباك مصالحهم بمصالح غيرهم ، وقد أصبحوا دولة ذات صلات بسائر الدول . وأخيراً فالتطور من سنن الطبيعة .

انتشاره خارج الجزيرة العربية

إن استيلاء السعوديين على الحجاز ودخولهم مكة والمدينة فى أوائل

---

(١) الشيخ وهبه فى « جزيرة العرب » ص ٣٤٣ .

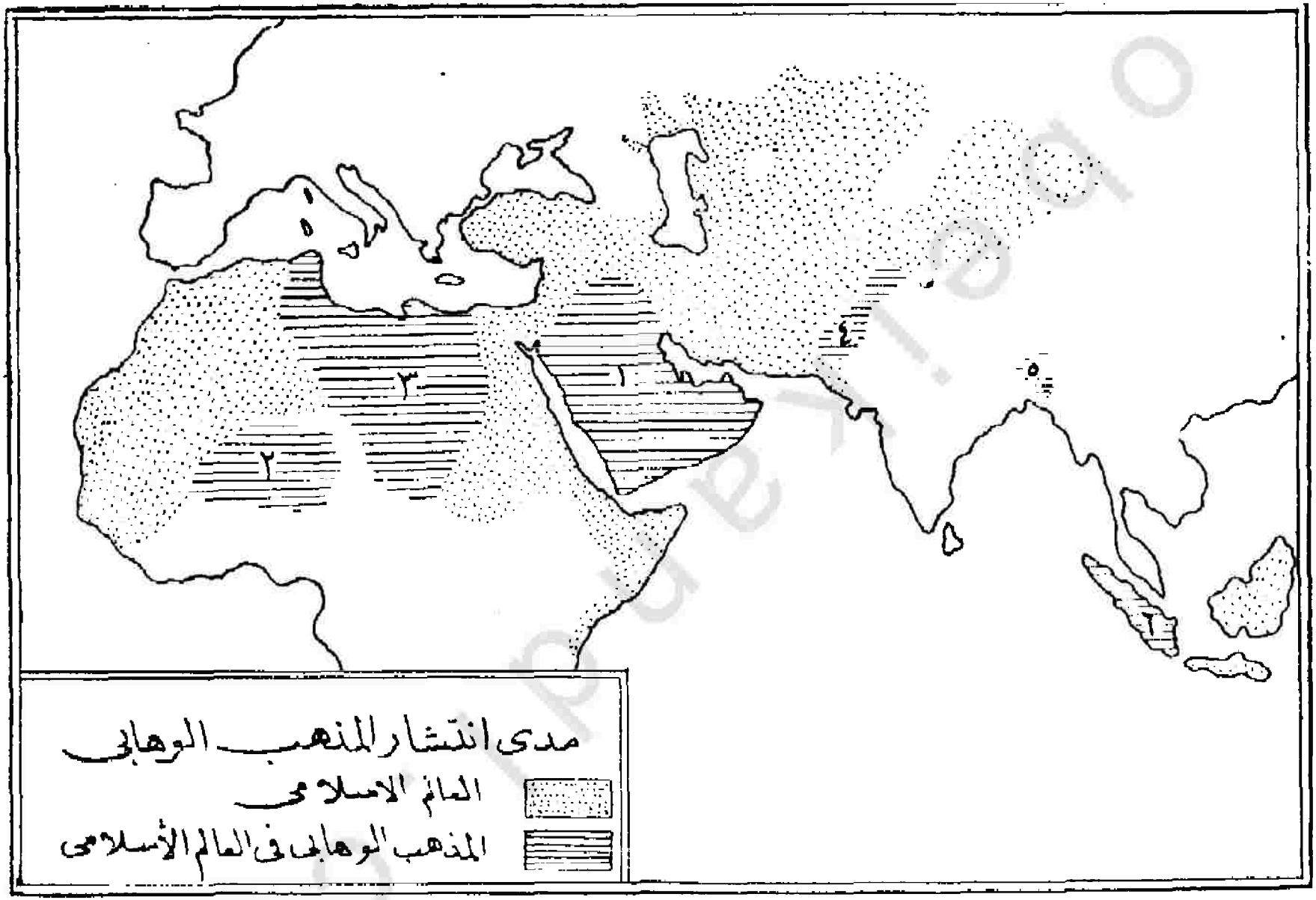

مواطن انتشار المذهب الوهابى : ١ — نجد ، قلب بلاد العرب ، حيث ظهر المذهب الوهابى وانتشر فى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى ، وحيث تقوم الآن الدولة الوهابية الكبرى ، المملكة العربية السعودية . ٢ — مملكة سوكوتو الوهابية التى قامت على أنقاض مملكة جبير ، على مجرى نهر النيجر بالسودان ، من سنة ١٨٠٤ إلى سنة ١٩٠٠ م . ٣ — واحة الكفرة ، حيث قامت الحركة السنوسية المتأثرة بالمذهب الوهابى على يد السيد محمد على السنوسى سنة ١٨٤٤ م . ٤ — الدولة الإسلامية الوهابية فى البنجاب التى ظهرت فيما بين ١٨٢٠ و ١٨٣٠ م . ٥ — منطقة مدينة بتنا بجهة البنغال بالهند ، حيث ابتدأ الداعية الوهابى الهندى الأمير سيد احمد دعوته ببلاد الهند سنة ١٨٢٠ م . ٦ — جزيرة سومطرة حيث قامت الدعوة الوهابية على يد أحد الحجاج من أهل هذه الجزيرة فى سنة ١٨٠٣ م . عن كتاب All - Islam لبول شميدس

obeikandl.com

القرن الثالث عشر الهجرى أعطى الفرصة لسائر الحجاج من مختلف البلاد الإسلامية ليتعرفوا المذهب الوهابى ، ويلتقوا بدعاته ويناقشوهم فيما يدعون إليه ؛ وكان من نتائج هذا أن اعتنق بعض الحجاج المبادئ الوهابية وتعصبوا لها ، ثم حملوها معهم ودعوا إليها فى بلادهم بعد رجوعهم إليها ، فانتقلت هذه المبادئ الإصلاحية إلى السودان فى أفريقيا وإلى الهند وسومطرة فى آسيا ، وكان هدف دعاتها فى كل مكان تحل به هو محاربة الفساد والقضاء على البدع والخرافات وتصحيح العقيدة الدينية ، ثم محاولة إقامة حكومة صالحة على أساس دينى لتنفذ الأحكام وتقيم الحدود ، فقامت الثورات على يد الدعاة الوهابيين ضد الأوضاع السائدة فى البلاد التى غزتها الدعوة ، وظهرت نهضات الإصلاح الدينى السياسى الاجتماعى ، ورأينا ما حدث فى جزيرة العرب بعد اتصال ابن عبد الوهاب بآل سعود ومؤازرتهم له فى نشر دعوته يحدث مثله فى السودان والهند وسومطرة ، ولكن فى صورة مصغرة

أما فى السودان فقد كان الداعية الوهابى هو الشيخ عثمان دانفوديو [1] ، أحد أفراد قبيلة الفولا ، وهى من قبائل الرعاة السودانية ؛ فإنه بعد التقائه بالوهابيين فى موسم الحج ، وبعد اعتناقه للمبادئ الوهابية عاد إلى بلاده وأخذ

---

(١) يسميه شكيب أرسلان عثمان دانغ فوديه نقلا عن المسيو موريس فال مفتش المعارف فى المستعمرات الفرنسية ، ولعل هذا التحريف من آثار اللهجة الفرنسية . راجع « حاضر العالم الإسلامى » ج ٣ ، ص ٢٣ .

يحارب البدع الشائعة بين عشيرته وقومه ، ويعمل للقضاء على بقايا الوثنية وعبادة الأموات التى كانت لا تزال مختلطة بالعقيدة الإسلامية فى نفوس السودانيين ؛ ثم أخذ ينشر تعاليم الدين الإسلامى الصحيحة ويذيع مبادئ ابن عبد الوهاب فاستطاع أولا أن يجمع حوله قبيلته فى وحدة متماسكة مرتبطة برباط الدين المتين بعد أن كانت منقسمة إلى عدة وحدات ضعيفة متخاذلة ؛ وبعد ذلك ابتدأ حروبه فى سنة ١٨٠٢ م ضد قبائل الحاوسة الوثنية ، وقضى على مملكة جبير التى كانت تقع على مجرى نهر النيجر ، ولم تأت سنة ١٨٠٤ م حتى أقام عثمان دانفوديو مملكة سوكوتو فى السودان على أنقاض مملكة جبير بين النيجر الأدنى والبنيوى . فقامت هذه المملكة على أساس من الدعوة الدينية الوهابية ، ومدت رواقها على جميع الأقطار الواقعة بين تمبكتو وبحيرة تشاد ، وبقيت محافظة على استقلالها ووحدتها نحو قرن حتى استطاع الاستعمار الأوربى أن يقضى على ما كان لها من استقلال ووحدة ، وانفصلت عنها فيما بعد ممالك بورنو، والأداموا، وغاندو ، ونوبى «ولكنها لا تزال تعترف بسيادة سلطان سوكوتو الدينية» (١).

وهكذا انتشرت الدعوة الوهابية فى السودان وكانت سببا فى قيام مملكة بلغت مساحتها أربعمائة ألف كيلو مترا مربعا وبلغ عدد سكانها عشرة ملايين من الأنفس. وهؤلاء وإن كانوا قد فقدوا استقلالهم وغلبهم على أمرهم المستعمر الأوربى بما له من قوة وعدة ، فهم قد كسبوا الإسلام ولا زالوا يتحلون بفضائله ويتمسكون بمبادئه من وقت أن ظهر بينهم عثمان دانفوديو الداعية

---

(١) « حاضر العالم الإسلامى » ج ٣ ، ص ٢٣ .

الوهابى إلى الآن ، وسيبقون كذلك إلى ماشاء الله [١] .

كذلك عزت الدعوة الوهابية بعض المقاطعات الهندية بواسطة أحد الحجاج الهنود ، وهو سيد أحمد ، وقد كان هذا الرجل من أمراء الهند ، وذهب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج بعد أن اعتنق الإسلام سنة ١٨١٦ م ، فلما التقى بالوهابيين فى مكة اقتنع بصحة ما يدعون إليه وأصبح من دعاة المذهب الذين تملكهم الإيمان وسيطرت عليهم العقيدة . ولما عاد سنة ١٨٢٠م إلى وطنه فى الهند بجهة البنغال وجد ميدانا صالحا للدعوة بين سكان المنطقه من الهنود المسلمين الذين اختلطت عقائدهم وتقاليدهم الدينية بالكثير من عقائد الهندوس وعوائدهم ، فابتدأ الدعوة بمدينة بتنا يدعا إخوانه المسلمين ليؤمنوا بمبادىء الإسلام الصحيحة ، وليتركوا البدع والعقائد الهندوسية التى كانت شائعة بينهم ؛ وبعد مرحلة من « الجهاد » استطاع هؤلاء المسلمون الوهابيون أن يقيموا دولة إسلامية على أساس من المبادىء الوهابية بجهة البنجاب تحت حكم الداعية سيد أحمد ؛ ولم تلبث هذه الدولة طويلا حتى قضى عليها الاستعمار الانكليزى فى العقد الرابع من القرن التاسع عشر .

ولكن الدعوة الوهابية ظلت قائمة هناك على يد خلفاء سيدأحمد من بعده ،

---

(١) راجع كتاب Geschichte der Arabischen Litteratur لبروكلمان ج ٢ ، ص ٥١٠ ؛ وكتاب All-Islam لبول شميدس ص ٨٩ — ٩٠ ؛ وكتاب « حاضر العالم الإسلامى » ج ٣ ص ٢٣ .

ولم يستطع المستعمرون أن ينالوا منها ، ولا يزال الكثيرون من سكان هذه المناطق يدينون بالإسلام على المذهب الوهابى ، وإن كانوا قد افترقوا إلى عدة فرق متأثرين بالبيئة الهندية ؛ وأكثر الفرق الوهابية الهندية عددا وأقواهم شأنا الآن هى فرقة الفارازى « Farazis » (١)

وفى سومطرة ابتدأت الدعوة الوهابية سنة ١٨٠٣ م على يد أحد الحجاج من أهل الجزيرة ، وكان قد عاد من الحج فى نفس السنة بعد أن التقى بالوهابيين واقتنع بصحة ما يدعون إليه ؛ فلما عاد إلى وطنه ابتدأ الدعوة ، ثم تطورت الحركة إلى حروب طاحنة بين المسلمين الوهابيين الذين أصبحوا قوة كبيرة فى سومطرة وبين غير المسلمين من السكان الأصليين ، حتى رأت حكومة الاستعمار الهولندية سنة ١٨٢١ م أن تناهض هذه الحركة القوية محافظة على كيانها ونفوذها هناك . واستمرت المناوشات والحروب بين المستعمرين الهولنديين وبين السومطريين الوهابيين مالا يقل عن ستة عشر عاما ، ثم انتهت بتغلب قوى الاستعمار على القائمين بالحركة الوهابية (٢) .

كذلك الحركة « السنوسية » التى ابتدأت فى الجزائر أواسط القرن التاسع عشر ، ثم غزت طرابلس بعد ذلك وانتشرت فى شمال أفريقيا ، ثم مدت رواقها نحو الجنوب فتمكنت فى السودان ؛ هذه الحركة السنوسية التى ناهضت

---

(١) راجع All-Islam ص ٩٠ — ٩١ .

(٢) المرجع السابق ص ٩١ .

الاستعمار فى كل مكان حلت فيه ، والتى كانت ولا زالت مدرسة تربية وتهذيب للشعب السنوسى قد تأثرت بالدعوة الوهابية فى أساسها . فالسيد محمد على السنوسى مؤسس الحركة السنوسية كان فى مكة يطلب العلم وقت استيلاء الوهابيين عليها ، فعاشرهم وتتلمذ على علمائهم وتأثر بمذهبهم ، ثم عاد إلى الجزائر وابتدأ حركته الإصلاحية على ضوء تعاليم الإصلاح الدينية الإسلامية التى أضرم نارها فى الجزيرة العربية محمد بن عبد الوهاب (١) .

وإنا نلاحظ أن هذه المبادىء الدينية الإسلامية التى عرفت بالمذهب الوهابى لا تحل بمكان وتنتشر فيه إلا ويكون من آثارها أن تقوم ثورة إصلاحية إذا واتت الظروف وساعدت الأحوال . وهدف هذه الثورة يكون فى جوهره دائما واحدا ؛ وهو ـ كما سبق أن ذكرنا ـ العمل لسيادة مبادىء الإسلام الصحيحة والقضاء على البدع وأوضاع الحياة الفاسدة ، ثم محاولة تأسيس دولة إسلامية وتكوين حكومة صالحة تحكم بمادىء الإسلام ، تنفذ الأحكام وتقيم الحدود .

هذا ماترتب على ظهور الدعوة فى جزيرة العرب ، ثم على انتشارها فى السودان ، والهند ، وسومطرة كما رأينا . ولقد كانت الأحوال فى كل هذه البلاد وقت ظهور الدعوة الوهابية فيها متشابهة إلى حد بعيد ، من حيث

---

(١) المرجع السابق ٩٢ ـ ٩٣ .

اعتناق أهلها للخرافة والبدعة واختلاط ذلك بعقائدهم الدينية ، ومن حيث تأخرهم جميعا فى أحوالهم السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، وإن كان ذلك طبعا بنسب متفاوتة

فى كل هـــذه الأماكن وجدت الدعوة الوهابية ميدانا للعمل وأرضا صالحة لبذر بذور الإصلاح بعد تنقيتها من آثار الفساد وأسبابه ، كما استطاع الدعاة المصلحون فى كل هذه البلاد أن يشعروا سكانهـا بحاجتهم إلى الإصلاح وبضرورة اعتناقهم للمبادىء الوهابية الإسلامية سبيلا للنجاة وطريقا للنهوض .

obeikandl.com

نسب آل سعود[1]

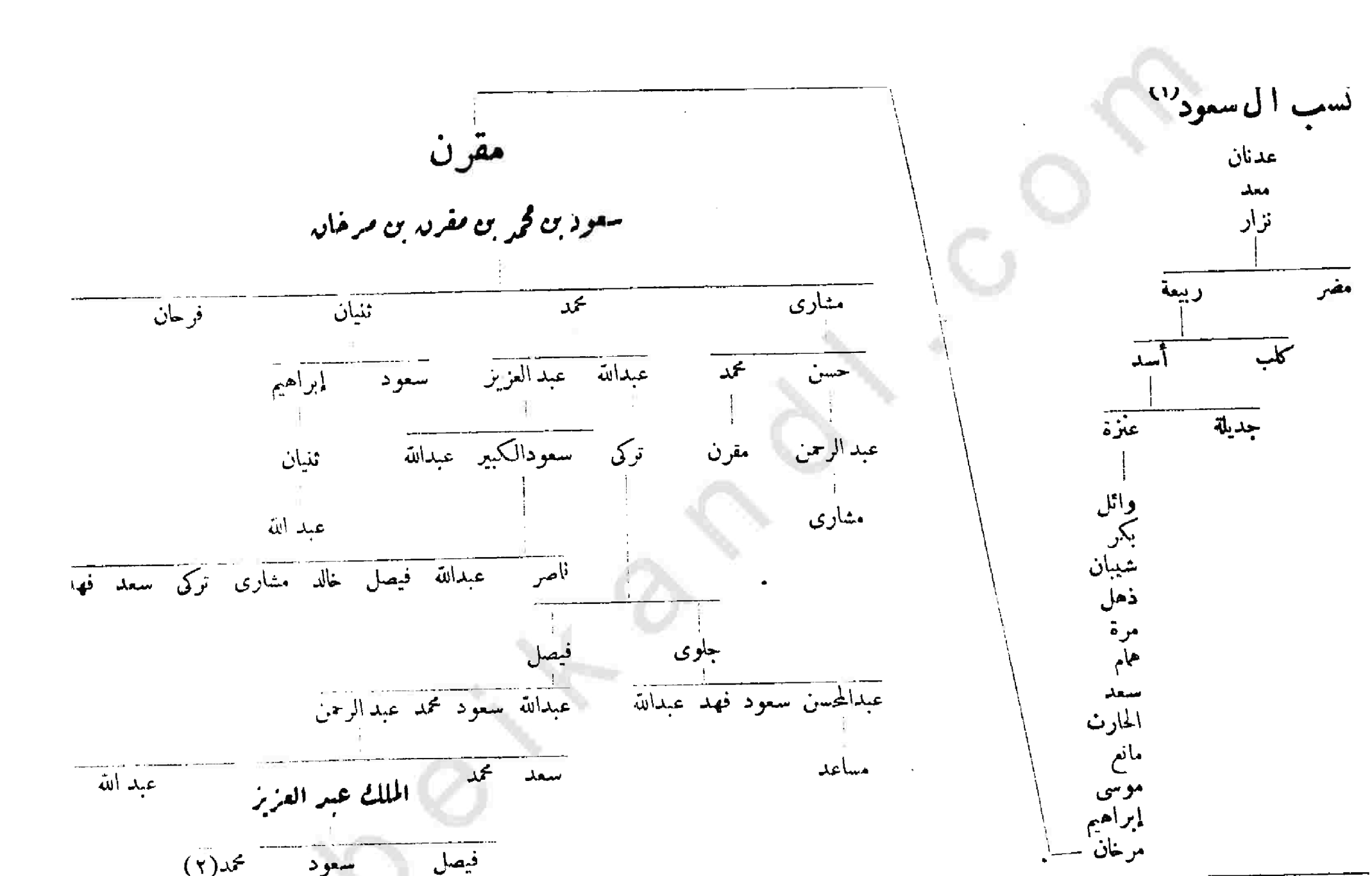

(١) عن أمين الريحاني في كتابه « تاريخ نجد الحديث وملحقاته » ص ٩٤ من الطبعة الأولى ، مع بعض التغييرات .

آل سعود

ينتسب آل سعود إلى قبيلة عَنزَة ، إحدى قبائل ربيعة . وعَنزَة تعد من أكثر القبائل العربية عدداً ، فهى كثيرة الأفخاذ والبطون ، وأفرادها منتشرون فى نجد والعراق وسوريا .

ولقد كان السعوديون قبل أن يتصل بهم محمد بن عبد الوهاب كغيرهم من شيوخ المقاطعات النجدية محدودى النفوذ والسلطان ، لا يمتد سلطانهم إلى أكثر من مقاطعتهم التى يسكنونها (١) ؛ وكانت المنطقة التى تخضع لهم فى نجد تشمل بلدة الدرعية (٢) وما يحيط بها من واحات .

ويعد سعود الأول ابن محمد بن مقرن مؤسس الأسرة السعودية وزعيمها الأول ؛ فهو أول من تمكن من السيطرة على مقاطعة الدرعية بما كان عليه من الدهاء وبعد النظر .

---

(١) كان الأمراء السعوديون يعرفون أن نصرتهم لابن عبد الوهاب فى نشر دعوته الدينية هى السبب فى قيام دولتهم واتساع ملكهم ، وكانوا كثيراً ما يتحدثون بنعمة الله وفضله عليهم فى هذا ؛ فلقد خطب سعود الكبير عند دخوله مكة سنة ١٢١٨ هـ وقال فى خطبته : إنا كنا أضعف العرب ، ولما أراد الله ظهور هذا الدين دعونا إليه وكل يهزأ بنا ويقاتلنا ! . راجع « جزيرة العرب » ص ٣٤٧ .

(٢) تقع الدرعية شمال الرياض عاصمة نجد الحالية ، بالقرب من العيينة ، القرية التى ولد فيها محمد بن عبد الوهاب .

وبعد وفاة سعود عام ١١٣٧ هـ / ١٧٢٤ - ١٧٢٥ م تعاون أبناؤه الأربعة محمد وثنيان وفرحان ومشارى فيما بينهم ، وما زالوا يتمتعون بما لهم من نفوذ موروث فى منطقتهم الضيقة ، حتى اتصل بهم محمد بن عبد الوهاب - كما قدمنا - وتعاهد مع محمد بن سعود على أن يحميه ، ويساعده على نشر مبادئه الدينية الإصلاحية .

كانت هذه الصلة المباركة سبباً فى اتساع ملك آل سعود وتمكين نفوذهم إلى يومنا هذا ، وقامت من ذلك الحين الدولة الوهابية السعودية ، وأخذت أدوارها المختلفة فى التاريخ .

ونحن نستطيع أن نقسم تاريخ هذه الدولة من وقت قيامها إلى الآن إلى ثلاثة عصور ، يهمنا منها العصر الأخير ، فهو العصر الذى يمثل النهضة العربية السعودية الحديثة ، ولكن لا بد لنا أولا من أن نذكر كلمة موجزة عن العصرين الأول والثانى .